مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

الضرورة الشعرية عند النقاد حتى نهاية القرن الرابع الهجري وآراء المحدثين فيها

الدكتور سامي عوض [*]
الدكتور مالك يحيا [**]
كسرى زهيري [***]

(تاريخ الإيداع 29 / 1 / 2015. قبل للنشر في 14 / 5 / 2015)

□ ملخّص □

يتناول البحث الضرورة الشعرية عند أهمّ النقاد الذين اهتموا بالشعر، وألفوا فيه كتباً ، وأطلقوا عليه أحكاماً، وفاضلوا بين الأشعار ، وصنّفوها معتمدين اللفظ والمعنى في أحكامهم .

أكد النقاد الطبيعة الخاصة للشعر ، وهذه الخصوصية جعلت النحاة يقفون أمام ما خالف قواعدهم ، يلتمسون الأعذار لإبقائه في دائرة القبول ، أما النقاد فنظروا إلى الشعر على أنه مستوى آخر في التعبير واستحسنوه ، لكنهم وضعوا للشعر معاييرَ وأطلقوا حكم / العيب / على بعض الظواهر في الأشعار ، ومن بعض العيوب ما صنّفه النحاة ضرائر .

اختلف النقاد في مواقفهم من الضرائر ، فمنهم من رفضها ووصفها بالقبح الذي يُذهب بماء الكلام ، ومنهم من استحسن بعضها ، ومهما يكن من أمر النقاد وموقفهم من الضرائر ، فإنها ظاهرة نالت اهتمامهم ، فمنهم من ألّف فيها كتاباً مستقلاً ، ومنهم من أفرد لها فصولاً من كتاب ، وفي أغلب الأحكام لم يُطلق عليها صفة الخطأ ، وإنّ خلود الأبيات التي تحمل ضرورات يبقيها في دائرة الاستحسان .

الكلمات المفتاحية : الضرورة ، لغة الشعر ، القواعد ، النقاد .

[*] **أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**
[**] **أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**
[***] **طالب دراسات عليا(دكتوراه) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

The poetic Necessity According to the critics until the fourth century and designs of new studies of it

Dr. Sami Aoad*
Dr. Malik Yahia**
Kesra Zherie***

(Received 29 / 1 / 2015. Accepted 14 / 5 / 2015)

□ ABSTRACT □

This research studies the poetic necessity according to the critics who were interested in poetry, and wrote criticized books chose between poetry and poets , and classified poetry into section , depending on meaning and pronunciation .

Critics emphasized the unique nature of poetry ,this uniqueness made the poets question what was against then rules making apologies for it to keep it accepted .

Critics looked at poetry as another level of expression and approved it with terms and conditions , such as / shame / judgement and poetry phenomena , such of it according to necesseties , critics had different views about necessities , some refused it , and described as ugliness that fades away by words water , while others approved it .

Whatever opinion have the critics about necessities , it is aphenomenon that took their attention , some wrote whole books , and others chapters .

In most cases , no one called it as mistake , and the lasting effect of poetry that has necessities keep it approved .

Key words necessity , measurement poetic language , grammatical rules

* **professor , the department of Arabic language and literature, Faculty of Arts and Literature, Tishreen University, Lattakia, Syira**
** **professor , the department of Arabic language and literature, Faculty of Arts and Literature, Tishreen University, Lattakia, Syria**
*** **PhD candidate , the department of Arabic language and literature, Faculty of Arts and Literature, Tishreen University, Lattakia, Syria**

مقدّمة :

الضرورة لغة : تتناول معاجم اللغة الضرورة في مادة (ضرر) [1] ، وتتمحور حول معنى واحد هو الحاجة ، فالضرورة مأخوذة من الاضطرار ، وهو الحاجة إلى الشيء ، ورجلٌ ذو ضرورة ، أي ذو حاجة ، وتقول : حملتني الضرورة على كذا وكذا ، وتُجمع على ضرائر ، وضرورات ؛ ويذكر الجرجاني الضرورة في كتاب التعريفات ، بقوله : هي النازل مما لا مدفع له [2] .

الضرورة في الشعر : هي الحالة الداعية إلى أن يرتكب الشاعر فيه ما لا يرتكب في النثر ، فهي خروج في التعبير الشعري عن التقعيد الشمولي الذي يلتزم به الناثر ، وجاء في معجم مصطلحات النقد القديم للدكتور أحمد مطلوب " الضرورة الشعرية هي الخروج على القواعد والأصول بسبب الوزن والقافية ، وقد جوّز القدماء للشاعر ما لم يُجوّزوا للناثر " [3] .

وأشار الدكتور محمد علي الشوابكة في معجم مصطلحات العروض والقافية إلى الضرورة بقوله : " هي التغيير في البنية أو التركيب أو الإعراب في بعض لغة الشعر ، مما ينحرف بها عن سنن العربية وقواعدها العامة " [4] . وسيكون عملنا منصبّاً على الوقوف على هذه الآراء ، والوصول إلى القواسم الجامعة والمشتركة بينها ، واستخلاص ما نجده أقرب إلى واقع اللغة ، واستيفاء شروط التعبير الصحيح .

أهمية البحث وأهدافه :

يهدف البحث إلى إبراز ما يأتي :

- اهتمام علماء العربية بالشعر ، وإدراكهم طبيعة لغته ، وما تخضع له من قوانين ذاتية .
- موقف بعض النقاد المتسامح من الضرورة الشعرية وتفسيرهم لها .
- اختلاف المعايير والأسس التي يُحكم وفقها على الأشعار ، بين النحاة والنقاد ، وما ينجم عن ذلك من اختلاف الأحكام .
- اختلاف النقاد فيما بينهم في الحكم على بعض الأشعار ، وإدراك بعضهم أن الضرائر لا تنتمي إلى الخطأ رغم قبح بعضها .
- إظهار العلاقة بين الضرائر والعيوب .

---

[1] ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل . لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، ط 3 ، مادة (ضرر) . والفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 م .

[2] الجرجاني ، علي بن محمد بن علي . كتاب التعريفات ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، باب الضاد ، 180 .

[3] مطلوب ، أحمد . معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2001 ، باب الضاد ، 280 .

[4] الشوابكة ، محمد علي ؛ أبو سويلم ، أنور . معجم مصطلحات العروض والقافية ، دار البشير ، 1991 ، 163 .

منهجية البحث :

يعتمد البحث المنهج الوصفي في دراسة ظاهرة الضرورة الشعرية ، ويستفيد من المنهج التاريخي في رصد الحركة النقدية ، وتطور النقد منذ نشأته في القرن الأول حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ويشير إلى بعض الدراسات الحديثة في تفسير بعض الظواهر الأدبية ، ثم تأتي نتائج البحث وخاتمته .

الضرورة الشعرية والنحو العربي :

نشأ علم النحو في رحاب القرآن الكريم ابتغاء القدرة على النطق به صحيحاً سليماً من اللحن ، وقد تولّدت رغبة في الإحاطة بالعلوم الشرعية ، كوّنت دافعاً لإتقان اللغة العربية ومعرفة ضوابطها الإعرابية وغريب ألفاظها ونظام تراكيبها ، وتكاد تُجمع المصادر على أنّ أول الجهود في مجال علم النحو ، كان على يد أبي الأسود الدؤلي ، الذي أخذه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام [5] ، وتوالت الجهود اللغوية ، وتوّجت بأوّل كتاب على يد سيبويه ، استنبط القواعد من الظواهر المطّردة في الاستعمال ، مما أورده الرواة عن فصحاء بغداد والبوادي .

ثم تنبّه النحاة إلى استعمالات لغوية في بعض الأشعار غير متوافقة مع القواعد التي قعّدوها ، فانصبّ اهتمامهم على إدخال تلك التراكيب ضمن منظومة اللغة ؛ لأنهم تمسّكوا بمثالية القواعد ، وفي الوقت نفسه نظروا بإعجاب إلى الشعر ، وكانوا أمام أمرين ، إما أن يخطئوا الأشعار التي تتضمن تراكيب غير منسجمة مع القواعد ،وإمّا أن يلتمسوا الأعذار لها ، فاختاروا إبقاء الأشعار في دائرة اللغة ، بتسويغهم تلك الاستعمالات والتماس العلل الداعية إليها، بالانصراف عن ظاهر التركيب إلى تقديم صورة تقديرية أكثر مثالية وخضوعاً للقواعد، عن طريق التقدير بالزيادة أو بالحذف ، لرد التركيب إلى أصل أو صورة مثالية [6] .

وقد أشار ابن عصفور إلى موضوع التقدير بقوله : " الكلام هو اللفظ المركب وجوداً أو تقديراً " [7] .

وإذا كان النحاة يلجؤون إلى التقدير حرصاً على استقامة القاعدة ، فإن المفسّرين لجؤوا إلى التقدير في كثير من المواضع حرصاً على توضيح المعنى المراد فهمه ، والنتيجة هي مجيء العبارة مستقيمة كاملة من زاوية النحو واللغة وزاوية المعنى [8] . وهكذا انصبت الجهود على إبقاء هذه التراكيب في دائرة اللغة بإعادتها إلى صورة مثالية تحقق المراد منها ، لتكون مفهومة كما أُريد لها ، وهذه الصورة المشكّلة من قبل النحاة عن طريق التقدير ، منسجمة مع القواعد ، هي أصول مثالية تجعل النحوي يرحّب بالتركيب الشعري ، ولا يتردد في تخطيئه إذا جاء في النثر ؛ لأن ما جاء من ذلك في الشعر لا يجوز في النثر ، رغم أنه يوافق وجهاً من وجوه العربية [9] . وكان قبول الجماعة اللغوية هذه التراكيب الشعرية دليلاً على انسجامها مع ما استقر عند العربي بفطرته عن طبيعة الشعر ؛ لأن العربي لا يتحدث في حديثه

---

[5] اللغوي ، أبو الطيب . مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة ، 1974 . ويُنظر : الجمحي ، محمد بن سلام . طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمد محمود شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، 1980 م ، 21/1 .

[6] راضي ، د. عبد الحكيم . نظرية اللغة في النقد العربي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، يُنظر 202 .

[7] ابن عصفور ، علي بن مؤمن بن محمد بن علي . المقرّب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، ط 1 ، مطبعة المدني ، بغداد ، 1972 م ، 45/1 .

[8] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله . البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة . يُنظر : 188/3 .

[9] سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 ، 26/1 .

النثري بها ، ويقبلها في الشعر ، وقد أشار ابن جني إلى طبع العربي هذا بقوله : " العربي يحسن بطبعه وقوة نفسه ، ولطف حسه قدراً لا يحسنه العلماء بالدرس والبحث " [10] . فالعربي رفض الإقواء عند النابغة الذي كان حكماً بين الشعراء ، وقَبِل الضرائر في الأشعار المروية من دون أن يدرك علل ورودها ، وهو كما أشار الأستاذ طه أحمد إبراهيم " يحس أثر الشعر إحساساً فطرياً لا تعقيد فيه ، ويتذوقه جبلة وطبعاً ، وعماده في الحكم ذوقه وسليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول ، وإلى المبرز من الشعراء ، فليست لديه أصول مقررة للكلام الجيد ... وليس لديه غير طبعه " [11] .

نقد الشعر عند العرب :

تذوّق العربي الشعر وبدأ إطلاق الأحكام عليه وعلى الشعراء قبل أن يصبح نقد الشعر علماً قائماً على معايير ، يعنى به فئة من المهتمين ، وكانت الأحكام انطباعيّة خاضعة لظروف صاحبها ، وكانت تدور الوازنات بين الشعراء اعتماداً على بيت شعر في غرض ما [12] وكانت هذه الأحكام تضطرب وتتغيّر من وقت إلى آخر، فمن ذلك مثلاً اختلاف حكم عمر / رض / على أشعر الشعراء ، فمرّة أطلقه على زهير ، ثم عاد وأطلقه على النابغة وقد أوردت المصادر أحكاماً مشابهة لذلك [13] 0

ثم بدأ التأليف الذي تأثر بالنقد فظهرت المؤلّفات التي اعتمدت تصنيف الشعراء إلى مجموعات واختيار الأشعار، وبدأ الاهتمام بدراسة خصائص الأشعار ، وظهر التفكير النقدي المستند إلى أسس فلسفيّة وكلاميّة عند ابن طباطبا وقدامة بن جعفر ، ولم يعد محصوراً برد لحن في اللغة كما يرى الدكتور جابر عصفور حيث يقول : كان لابن طباطبا وقدامة بن جعفر صلة وثيقة بالفكر الفلسفي في عصرهما ، ميّزتهم عن أقرانهم ، ومكّنتهم من الوصول إلى إنجاز واضح الأصالة ، ولهذا اختلف مفهومهما لنقد الشعر عن مفهوم ابن سلام الذي اقتصر الأمر عنده على تمييز المصنوع المنتحل الذي لا خير فيه " [14] .

الضرورة الشعرية عند النقاد :

عرفت جوازات الشعر أو رخصه في الجهود النقدية القديمة باسم الضرورات الشعرية ، ويرى الدكتور أمجد طرابلسي أن " النقاد أجازوا ركوب الضرائر ، واستعمال الرخص انطلاقاً من أن حظر الخروق اللغوية مسألة تتعلق بعلماء النحو والقواعد ، وأن هؤلاء أنفسهم أقروا الشاذ والاستعمال الذي لا يطرد ، أو يقاس عليه بسبب وجود أمثلة له في أشعار الجاهليين والإسلاميين " [15] . لكن الضرائر ليست على درجة واحدة ، والنقاد لم يكن لهم موقف واحد من الضرائر في الاستحسان أو التقبيح أو الرفض ، ومعيار القبول عندهم يختلف عما اعتمده النحاة ، فالنحاة يرون الجودة في الشعر متمثلة في سلامة التركيب الشعري من حيث التزامه قواعد اللغة ، وتحقيق الوزن والقافية المميزة للشعر ، ويقدّرون لإعادة ما خرج على القواعد إلى منظومة اللغة ، أما النقاد فيهتمون بقواعد اللغة أساساً ، ينطلقون منه إلى فنيّة التركيب وجمالياته ، وفي الوقت نفسه يقبلون الخروج على القواعد لتحقيق مستوى فني ، ويرفضون ما يخرج عن

---

[10] ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط2 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 276/3

[11] إبراهيم ، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، 18 .

[12] ابراهيم ، طه أحمد 0 تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ينظر 94 – 95

[13] الجمحي ، ابن سلاّم 0 طبقات فحول الشعراء ، ينظر 1 / 56 – 63 0 وابن قتيبة 0 الشعر والشعراء ، ينظر 133 – 143 0

[14] عصفور ، د. جابر . مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، ط2 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 13 .

[15] الطرابلسي ، د. أمجد . نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري ، ط 1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 . 135 .

القواعد جُزافاً ، فليست كل مخالفة شعرية تحقق مستوى جمالياً ،وقد انقسم النقاد بين متشدد رافض للضرائر ، وقابل لبعضها رافض لآخر ، وبين متسامح يرى الجودة متحققة في كل تغيير في الاستعمال اللغوي . وسنعرض مَن كانت لهم مؤلفات نقدية عنيت بالضرورات الشعرية من النقاد القدامى ، وآراء بعض المحدثين فيه

1 . الضرورة الشعرية عند النقاد القدامى :

ابن قتيبة :عُني بالشعر العربي ، وجمع ما استطاع منه في مؤلف سماه (الشعر والشعراء) ، أشار في مقدمته إلى أقسام الشعر والوجوه التي يُختار عليها ويستحسن بها [16] ، وبيّن أن الشعر الذي نقله الرواة لا يشمل كل ما قيل ، ولا يشمل أخبار جميع الشعراء ، فالمحاولة لجمع كل ما قيل غير ممكنة مهما حاول الباحث [17] . وهذا الرأي ينسجم مع ما أشار إليه أبو عمرو بن العلاء بقوله : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير " [18] . لم يقلد سابقيه في الاستحسان والتقبيح ، بل أعمل عقله في الشعر ، ووضع معاييرَ وضوابط للأحكام ، واعتمد اللفظ والمعنى ، وقسّم الأشعار وفق ذلك أربعة أقسام ، " تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب ، ضرب منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه ... وضرب منه حَسُن لفظه وحلا ... وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه " [19] ، فالجيد عنده جيد وفق هذه المعايير ، بصرف النظر عن قائله وانتمائه الزمني ، وقد أشار إلى الأحكام السطحية المبنية على استحسان القديم لقدمه ، ورفض الحديث لحداثته ، ... " فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيّره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله " [20] . وأشار إلى التكلف في الشعر الذي يسبب الإخلال في الصياغة ، فيدل على عدم تمكن قائله ؛ لأنه يريد تحقيق الوزن والقافية ، فيرتكب الضرورات القبيحة ، فيحذف ما يستوجب المعنى ، ويزيد ما بالمعنى غنى عنه " [21] . فمن ذلك قول الفرزدق :

أولّيت العراق ورافديه فزاريّاً أحذّ يد القميص[22]

فزاد كلمة / القميص / وقد تم المعنى قبلها ، وكثرت هذه الظاهرة في شعره ، وكانت من المآخذ عليه ووصموه بالتكلّف [23] . وإذا تساءلنا عن سبب ارتكاب الفرزدق هذا العيب / بوصف ابن قتيبة والنقاد / فعلينا أن نستحضر المعنى المراد ، كما يفعل النحاة ، ونقول : أراد أحذّ اليد أي خفيفها ، ثم اضطر إلى الحشو ليستقيم الوزن ، ونحن نوافق أنّه فعل ذلك لأنّ اللفظ قصر عن العروض ، لكنّه استحضر كلمة متناسبة مع روي القصيدة ، ومع سياق البيت ، ومرتبطة إلى حدّ ما بكلمة / اليد / ، وليست غريبة عن مجاوراتها ، ولم تخل بالمعنى ، الذي فهمه النحوي والناقد ، ومع أنّ المعنى قد تمّ من غيرها فإننا لانراها مقحمة أو فضلة ،

ويستخدم مصطلح العيوب في الشعر ، فتشمل عيوب القوافي والأوزان 0

---

[16] **ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم 0 الشعر والشعراء .تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1996 ، ينظر 59 .**

[17] **المصدر السابق ، ينظر 60 .**

[18] **الجمحي ، ابن سلاّم ، طبقات فحول الشعراء ، 25 .**

[19] **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 64-65 .**

[20] **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 62-63 .**

[21] **المصدر السابق ، 89 .**

[22] **ديوانه ،شرحه وقدم له علي فاعور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، 338 ، وروايته أأطعمت 0**

[23] **ابن قتيبة ،الشعر والشعراء 0 ينظر 89**

أما العيوب التي تشمل الضرائر النحوية فهي عيوب الإعراب ، ومن عيوب الإعراب يذكر تسكين ما ينبغي تحريكه (وهذا يوافق مصطلح ضرورة الحذف عند النحاة) ، يقول : " وقد يضطر الشاعر فيُسكّن ما كان ينبغي له أن يحرّكه كقول لبيد :

تَرّاكُ أَمكِنَةٍ إذا لَم أَرضَها أو يَعتَلِق بَعضَ النُفوسِ حِمامُها[24] [25]

وكقول امرئ القيس :

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ إثما من الله ولا واغل [26]

ولو أنّ النحويين يذكرون هذا البيت ويحتجون به في تسكين المتحرك لاجتماع الحركات ، وأن كثيراً من الرواة يروونه هكذا لظننته فاليوم أُسقى غير مستحقب " [27] . فهذه الضرورة لا تروق لابن قتيبة ، فيشكّك في الرواية ، وتدعم رواية الديوان شكّه ، كما أنّ احتجاج النحاة بالتسكين لاجتماع الحركات غير دقيق ، لأننا لو أبقينا الفعل متحرّكاً لكان هناك ثلاث حركات متتالية فقط وهذا لا يستوجب تسكين إحداها فتفعيلة / مفاعَلَتُن / في البحر الوافر يتتالى فيها ثلاث متحركات 0 كما أنّنا إذا عدنا إلى القصيدة وجدنا البيت السابق لهذا البيت هو :

حلّت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شغل شاغل

فالشاعر حرّم على نفسه الشرب بعد قتل أبيه حتى تحقق ثأره ، فبادر إلى الشرب ولم ينتظر أن يسقى ، فجاء قوله : اليوم أشرب 0ويوجز رأيه في الضرورات بقبولها وفق مبدأ الرد إلى أصل ، وعدم جواز الإخراج عن أصل ، وهو ينسجم مع رأي النحاة ، يقول : " وقد يضطر الشاعر فيقصر الممدود ، وليس له أن يمد المقصور ، وقد يضطر فيصرف غير المصروف ، وقبيح ألا يصرف المصروف ، وقد جاء في الشعر ، كقول العباس بن مرداس السلمي :

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ في مَجْمَعِ

وأما ترك الهمز من المهموز فكثيرٌ واسع، لا عيب فيه على الشاعر، والذي لا يجوز، أن يُهمز غير المهموز " [28] .

ابن طباطبا (ت 322 هـ) :

ألف ابن طباطبا كتاباً سماه (عيار الشعر) ، أكد فيه خصوصية الشعر وتميزه عن النثر ، وأشار إلى أن الشاعر الذي يصح طبعه وذوقه ، يقول الشعر من دون الحاجة إلى العروض التي هي ميزان ، ومن يضطرب عليه الذوق يصححه بمعرفة العروض والحذق بها حتى يصبح كالمطبوع [29] . ويتناول الضرورات تحت مسمى الحالات المعيبة والمستكرهة أو القبيحة ، ويورد تحت عنوان القبح شواهد من ضرورات الحذف عند النحاة " فأما الأبيات المستكرهة الألفاظ ، المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة التي يجب الاحتراز من مثلها ، فكقول الأعشى :

---

[24] **ديوانه ، اعتنى به حمدو طماس ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، 113**

[26] **الكندي ، امرؤ القيس ، ديوان شعر ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 122 ، روايته اليوم أُسقى**

[27] **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 98**

[28] **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 101 .**

[29] **ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد . عيار الشعر ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1995 ، ينظر 5 .**

أَفي الطَوفِ خِفتِ عَلَيَّ الرَدى وَكَم مِن رَدٍ أَهلَهُ لَم يَرِم [30]

يريد : لم يرمِ أهله " [31] . وينهي ابن طباطبا القول في هذا الشاهد على أنه قبيح النسج مستكره ، لكننا لا نوافقه على هذا الحكم ، ، فما فعله الأعشى هو تقديم المفعول به وإبقاؤه منصوباً ، وإعمال الفعل فيه ، وهذا في النحو معروف ، وعند العرب مستعمل ، وهو من باب تقديم ما هو أولى 0 وكذلك يستكره ، ويقبّح ضرورات الفصل ، والتقديم والتأخير ، تحت عنوان استغلاق المعنى ، ويشير إلى ذلك بقوله : " ... فهذا من الكلام الغث المستكره الغلق " [32] . ويدعو الشاعر المعاصر إلى إتقان شعره ، وعدم إظهاره إلا بعد أن يهذبه ، ويكون خالياً من العيوب ، مضبوطاً وفق المعايير النقدية ، والتذوق العام ، ولا يقتدي بالمسيء ، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار .... فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نُنبّه عليها ، وأُمرَ بالتحرّز منها، ونُهي عن استعمال نظائرها ، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار ، وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يُقتدى بالمسيء ، وإنما الاقتداء بالمحسن " [33] .

ويسوغ الضرائر ويقبلها إذا كان المعنى المراد [الخبر] الذي يريد إيصاله لا يمكن التصرف فيه ، ويجب الانقياد له ، ولا يصح إلا بإيراده بهذا الشكل وهذه الكلمات ، أما عند إمكانية التصرف والتعديل فلا عذر للشاعر ، " والذي يحتمل في بعض هذا إذا ورد في الشعر هو ما يضطر إليه الشاعر عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام ، إنْ أُزيل عن جهته لم يجز ولم يكن صدقاً ، ولا يكون للشاعر معه اختيار ، لأن الكلام يملكه حينئذ ، فيحتاج إلى اتباعه ، والانقياد له ، فأما ما يمكّن الشاعر فيه من تصريف القول وتهذيب الألفاظ واختصارها ، وتسهيل مخارجها فلا عذر له عند الإتيان بمثل ما وصفناه من هذه الأبيات المتقدمة " [34] .

قدامة بن جعفر (ت 327 هـ) :

ألف قدامة بن جعفر كتابه (نقد الشعر) ، وكان له فضل السبق إلى الخوض في علم جيد الشعر ورديئه ، وأشار إلى اهتمام سابقيه بالعروض والقوافي والغريب ، وإهمالهم نقد الشعر وفق معايير علمية ، يقول : " وقد عُني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، واستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر ، وتخليص جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة " [35] . وانصب اهتمام قدامة على دراسة الشعر وتمييز جيده من رديئه وفق منهج علمي واضح ، يقوم على معايير محددة ، وكان متميزاً عن أقرانه ، بسبب صلته الوثيقة بالفكر الفلسفي الذي مكّنه من الوصول إلى إنجاز واضح الدلالة كما يرى د. جابر عصفور [36] .

---

[30] ميمون ، الأعشى الكبير . ديوان شعر ، شرح الدكتور محمد محمد حسين ، ط7 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983 ، 91 .

[31] ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق د0عبد العزيز بن ناصر المانع ، اتحاد الكتاب ، دمشق 1995 ،76 .

[32] المصدر السابق ، 72 .

[33] ابن طباطبا ، عيار الشعر ، 14 .

[34] المصدر السابق ، 72 .

[35] ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة . نقد الشعر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 61 . قسم العلم بالشعر خمسة أقسام :- علم عروضه ووزنه . – علم قوافيه ومقاطعه . – علم غريبه ولغته . – علم معانيه . – علم جيده ورديئه .

[36] عصفور ، د. جابر . مفهوم الشعر ، ينظر 13 .

عرف قدامة الشعر ، وأشار إلى عناصره ، وذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر ، فالرداءة هي أضداد تلك الأسباب، وطالب الشاعر بنظم الشعر متبعاً أسباب الجودة ، وحذر من الرداءة ، قال : " الشعر قول موزون مقفّى يدل على معنى " [37] ، وفصّل في كل كلمة من هذا التعريف ، ووضع صفات للشعر ، إذا كانت فيه كان في غاية الجودة ، فمن صفات اللفظ أن يكون سمحاً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة [38] . ومن صفات الوزن أن يكون سهل العروض ، والقوافي عذبة الحرف ، سلسة المخرج [39] . وأشار إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وكذلك العلاقة بين اللفظ والوزن ، وإلى تحقيق الائتلاف بين ذلك ، وأوضح الائتلاف بين اللفظ والمعنى بقوله : " وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه " [40] .

أما إشارته إلى الضرائر فكانت أكثر وضوحاً في باب نعت ائتلاف اللفظ والوزن ، فهو يرفض أي تعديل في البنية للاسم أو الفعل من أجل تحقيق الوزن ، أو أن يتحقق الوزن بتغيير المعنى ، وهذه التحويلات في البنية (زيادة أو نقصاناً) هي مما وصفه النحاة بالضرائر ، يقول : " ... وهو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بُنيت ، لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها ، والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال ، والتراكيب المؤلفة منها على ترتيب ونظام ، لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدماً ، والصفة مقولة عليها " [41] ، وخير شواهد على توافق عيوب الشعر عند قدامة ، مع الضرائر الشعرية عند النحاة ، عيوب اللفظ " فعيب اللفظ أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة ... وأن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ، ولا يُتكلم به إلا شاذاً " [42] . فمن عيوب اللفظ التثليم " وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض ، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها ، مثال ذلك قول علقمة بن عبدة :

كَأَنَّ إبريقَهُم ظَبيٌ عَلى شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبا الكَتّانِ مَلثومُ[43]

أراد : بسبائب الكتان ، فحذف للعروض .

وللبيد : درس المنا بمتالع فأبان .

أراد بالمنا : المنازل " [44] ، والشاهد نفسه أورده سيبويه على ضرورات الحذف .لكننا نتساءل أمام هذا الحذف الذي أشار إليه النحاة والنقاد ، هل كان في كلمة / المنا / مسوّغ من مسوّغات الضرائر التي اعتمدها النحاة ؟ هل هي

---

[37] ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر ، 64 .

[38] المصدر السابق ، ينظر 74-75 .

[39] المصدر السابق ، ينظر 78-83 .

[40] المصدر السابق ، 153 .

[41] المصدر السابق ، 165 .

[42] المصدر السابق ، 172 .

[43] ديوانه ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ، ودرية الخطيب ، راجعه د 0 فخر الدين قباوة ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، حلب ، 1969 ، 70 0

[44] ابن جعفر ، قدامة ، نقد الشعر ، 207 .

لهجة قبيلة ؟ ما مسوّغ هذا التعسف في الحذف ؟ ونزداد عجباً حينما نطالع قول ابن فارس " من سنن العرب في كلامها القبض " [45] ثمّ يذكر الشاهد نفسه 0

ومن العيوب التذنيب " وهو عكس العيب المتقدم ، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض ، فيضطر إلى الزيادة فيها ، مثل ما قال الكميت :

لا كعَبْدِ المليكِ أو كيزيدٍ أو سُليمانَ بعْدُ أو كهِشامِ

فالمليك والملك اسمان لله عز وجل ، وليس إذا سُمّي إنسان بالتعبّد لأحدهما وجب أن يكون مسمّى بالآخر ، كما أنه ليس من سمّى عبد الرحمن هو كمن سمى عبد الله " [46] ، وهذا العيب هو نفسه ضرورة الزيادة التي أشار إليها النحاة .

ومن العيوب التي أشار إليها قدامة التغيير " وهو أن يحيل الاسم من حاله وصورته إلى صورة أخرى ، إذا اضطره الوزن إلى ذلك ، كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام :

ونسج سليم كلّ قصاءَ ذائِلِ .

وكما قال آخر :

من نسج داود أبي سلاّم " [47] . وهذه الشواهد وغيرها درسها النحاة تحت مسمى ضرائر التغيير في الاسم .

أما العيب الذي كثرت شواهده عند النحاة تحت مسمى ضرورات الفصل ، وأحياناً ضرورات التقديم والتأخير ، فهو عيب التعطيل " وهو أن لا ينتظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدّم ويؤخر ، كما قال دريد بن الصمة :

وبلِّغ دُريداً إنْ عرضت بن عامِرٍ فأيُّ أخٍ في النائبات وصاحبِ[48]

ففرق بين دريد بن عامر بقوله (إن عرضت) " [49] . فهذه الرواية التي انفرد بها قدامة تشير إلى أنّ المعنى المراد هو : بلّغ دريد بن عامر إن عرضت 00 ففصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهذا برأي ابن جني من قبيح الفصول لأنّ المفصول بينهما شديدا الاتصال ، أي مضاف ومضاف إليه [50] غير أنّ الجملة الاعتراضية صنف معروف في النحو، ومن مواضع استعمالها الفصل بين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وبين الصفة والموصوف ، و 000 ، وفي الشاهد موضع الدراسة بدأ بفعل الأمر بلّغ ، ثم ذكر الاسم الأوّل للمبلَّغ ، وكأنّه بعد ذلك استدرك الحدّة في فعل الأمر الواجب التنفيذ ، فخفّفه إلى صيغة الاحتمال / إن / فجاء الموضوع طلباً ضمن الممكن ليصبح التركيب : إن عرضت بلّغ دريد بن عامر 0

وهذا العيب يرد كثيراً في كتب النحاة ، وبصور أكثر تعقيداً ، تشبه الأحاجي ، وتبهم المعنى أحياناً .

---

[45] ابن فارس ، أحمد ، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، تحقيق د 0 عمر فاروق الطباع ، ط1 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، 230 0

[46] ابن جعفر ، قدامة ، نقد الشعر ، 207 .

[47] المصدر نفسه ، 207 .

[48] ديوانه ، تحقيق د0عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، 36 0 وروايته : وأبلغ نميراً إن مررت بدارها 00

[49] ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر ، 208 .

[50] ابن جني ، الخصائص ، ينظر 2 / 390

ومن عيوب ائتلاف المعنى والوزن المقلوب " وهو أن يضطر الوزنُ الشاعرَ إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به مثال ذلك لعروة بن الورد :

فلو أنّي شهدتُ أبا سعادٍ غداةَ غَدا بمهجتهِ يفوقُ

فديتُ بنفسهِ نفسِي ومالي وما آلوكَ إلا ما أطيقُ[51]

أراد أن يقول : فديتُ نفسه بنفسي فقلب المعنى . [52] وقلبُ المعنى الذي يشير إليه قدامة ناجم عن تغيير في صياغة التركيب ، وذلك بإدخال / الباء / على كلمة / نفسه / بدلا من كلمة / نفسي / ، لكن ما الذي جعل هذا التركيب مفهوماً ومقبولاً مع هذا العيب ؟ لقد فهم التركيب كما أريد له لأنّ الدلالة العامّة المستوحاة من البيت الأوّل تقتضي أن الشاعر سيفدي أبا سعاد لو لحظه في لحظاته الأخيرة وليس العكس ، فجاء البيت الثاني وقد سبقته دلالته ، ولم ي}ثر هذا القلب في التشويش على المعنى المراد 0

أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) :

ألف أبو هلال العسكري كتاباً سماه (الصناعتين) ، أشار فيه إلى أهمية علم البلاغة ، الذي يراه – كباقي النقاد – ضرورياً ، ودعا إلى إتقانه ، وبيّن دوره في معرفة إعجاز كتاب الله تعالى، وأورد تعريف البلاغة، وذكر الآراء المختلفة لإبراز أهمية هذا العلم لأبناء اللغة ، من ذلك قوله " البلاغة كل ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فيمكِّنه في نفسه كتمكُّنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن " [53] .

وبيّن أهمية التمكّن في هذا العلم في فهم النصوص الأدبية وتمييز الحُسْن من القُبْح ، قال : " ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه ، وفرّط في التماسه ، ففاتته فضيلته ، وعلقت به رذيلة فوته ، عفّى على جميع محاسنه، وعمّى سائر فضائله ، لأنه إذا لم يفرّق بين كلام جيد ، وآخر رديء ، ولفظ حسن ، وآخر قبيح ، وشعر نادر ، وآخر بارد ، بانَ جهله ، وظهر نقصه ، وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشئ رسالة، وقد فاته هذا العلم، مزج الصفو بالكدر ، وخلط الغَرَر بالعُرر ، واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزلة للجاهل ، وعبرة للعاقل " [54] .

ولقد أعلى أبو هلال العسكري من شأن الشعر، فأعطاه أفضلية على سائر المنظومات، قال : " وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر ، ومما يفضل به غيره أيضاً طول بقائه على أفواه الرواة ، وامتداد الزمان الطويل به ، وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض ، وهذه خاصة له في كل لغة ، وعند كل أمة ، وطول مدة الشيء من أشرف فضائله " [55] .

ويهتم بالمعنى وبالصياغة وبالنظام اللغوي وبضوابطه التي تعرف بالقواعد ، ويعدّ الخروج على هذا النظام إفساداً للموضوع ، وليست الاستقامة في المعاني شرطاً كافياً للاستحسان ، يقول : " والمعاني على وجوه منها ما هو

---

[51] ديوانه ، شرح ابن السكيت ، قدم له راجي أسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 ، 73

[52] ابن جعفر ، قدامة ، نقد الشعر ، 209 0

[53] العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986 م ، ص10 . وينظر آراء أخرى 37 ، 42 ، 44 ، 47 .

[54] العسكري ، الصناعتين ، 2 . الغُرر : الأشياء الحسنة . العُرر : الأشياء القبيحة .

[55] العسكري ، الصناعتين ، 137 .

مستقيم حسن ، نحو قولك : قد رأيت زيداً ، ومنها ما هو مستقيم قبيح ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير " [56] .

ويدعو إلى تنقية القصيدة ، وإعادة النظر في تراكيبها ، ويوضح عيوب اللفظ والرصف والقوافي ، وينهى عن ارتكاب الضرورة لأنها تنتمي إلى عيوب اللفظ، يقول : " ومن عيوب اللفظ ارتكاب الضرورات فيه ، كما قال المتلمس :

إنْ تسلُكِي سبلَ المواةِ منجدةً ما عاش عمرٌ وما عمّرتَ قابوسُ

أراد : ما عاش عَمرو ... وما عُمّر قابوس " [57] 0 فقد عدّ هذا الشاهد من عيوب الانتقال في الضمائر بين الغائب والحاضر ، ونحن نرى أنّ هذا البيت يمكن توجيهه بنحو لا ضرورة فيه ، فيمكن أن يكون الشاعر قد انتقل من حديثه عن عمرو الغائب ، بقوله / ما عاش عمرو / إلى توجيه الحديث إلى قابوس المخاطب مباشرة ، وحذف أداة النداء وهذا الحذف شائع جدا وسليم ، وعلى ذلك لا ضرورة فيه ، وليس واجباً أن يكون عمرو وقابوس مخاطبين غائبين 0

وخلاصة القول إنّ أبا هلال لا يرى مسوغاً لارتكاب الضرائر ، ويدعو إلى اجتنابها ، وتنقية الأشعار منها ، ويعدّها أمراً قبيحاً ، وإنْ استعملها الأقدمون ، بسبب عدم درايتهم بها ، إذ لم يكن هناك نقد للشعر ، ينبه الشعراء إلى عيوب الشعر ، يقول : " وينبغي أن يجتنب ارتكاب الضرورات ، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، فإنها قبيحة تشين الكلام ، وتذهب بمائه ، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها ، ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مزلّة ، وما كان أيضاً تُنقد عليهم أشعارهم ، ولو نقدت وبُهرج منها العيب ، كما تُنقد على شعراء هذه الأزمنة ، وبُهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها " [58] . فهو يرى أن الضرورة مسألة معيبة وشاذة ، فالضرورة مخالفة ، والمخالفة قبيحة ، ولو وقف عليها الشاعر لجانبها ، وهو يكره الخطأ ويدعو إلى الابتعاد عنه .

2. آراء المحدثين في الضرورة الشعرية :

لم يكن الدارسون في العصر الحديث أقل اهتماماً من القدماء بظاهرة الضرورة الشعرية ، فقد خصها بعضهم بدراسة مستقلة ، وتحدث بعضهم عنها ضمن كتب الأدب واللغة والنقد وموسيقا الشعر . ومثلما اختلف القدماء في قبولهم للضرائر بين مؤيد مستحسنٍ لها ، و رافض مستقبحٍ يدعو إلى إخراجها من الأدب ، انقسم الدارسون في العصر الحديث ، بسبب طبيعة الشعر ، ومن أهم مَنْ كتب في ضرورة الشعر في العصر الحديث :

د. إبراهيم أنيس :اهتم بها في كتابين ، الأول (من أسرار البلاغة العربية) ، وتتلخص آراؤه فيها بأن " الضرورة وصمة وصموا بها الشعر العربي عن حُسن نية منهم " [59] . وفي كتابه الثاني (موسيقى الشعر) يعدّها ناجمة عن انشغال الشاعر بالوزن وموسيقا الشعر ، يقول : " إن الشاعر يحرص على موسيقى شعره كل الحرص ، ولا يعبأ بما قد يترتب على تحقيق هذه الموسيقى من مخالفة النظام النثري في الكلمات ... وليست الضرورة إلا رخصاً

---

[56] المصدر السابق ، 70 . تأثر أبو هلال بما قاله سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، حيث قسم الكلام إلى خمسة أقسام : مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، ومحال كذب . ينظر : سيبويه ، الكتاب ، 1/25-26 .

[57] العسكري ، الصناعتين ، 109 .

[58] العسكري ، الصناعتين ، 150 .

[59] أنيس ، د. إبراهيم . من أسرار البلاغة ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط3 ، 26 .

منحت للشعراء حين ينظمون ، فأُبيح لهم الخروج عن بعض قواعد اللغة ، لا قواعد الوزن والقافية " [60] 0 هذه الرُّخص إن شئنا الدقة منحت للشعراء المحدثين ، وليس للقدماء ، لأن القدماء استعملوها من تلقاء أنفسهم ، وجاء قدماء علمائنا فاستنبطوها من شواهد شعرية قديمة [61] ، ويتوقف عند أمر مهم بعد أن قبل الضرورة ، وهو القبيح من الضرائر ، ويشكك في نسبته ، فالضرائر القبيحة لا تنسجم مع الذوق العربي ، فيعزوها إلى خطأ في السماع أو خطأ في الرواية ، ويخالف العروضيين في نظرتهم إليها ، ويستشهد ببيت شعر يتضمن ضرورة ترخيم في غير النداء ، ويشرح موقفه ، يقول : " ومثّلوا لها بقول القائل :

لَنِعمَ الفتى نعشو إلى ضوء ناره طريفَ بن مالِ ليلةَ الجوع والخصر

فأهل العروض يذكرون أن الشاعر أراد (ابن مالك) فحذف الكاف ، ولكنّا لا نستريح لمثل هذا التفسير لما فيه من تكلّف ظاهر يكشف عن الصنعة العروضية ، وأغلب الظن أن الراوي قد ضل السبيل في رواية مثل هذا البيت ، أو يُحتمل أنّ الناظم أنشد البيت جاعلاً الاسم (مالك) ، مُشكِّلاً بالسكون ، ثم تصرّف فيه العروضيون بما قد رأيت " [62].

ويدعو إلى دراسة الضرائر المستقبحة ، وإعادة تقييمها في كتب النحو " على أنها أثر لأحد الأمور الآتية ، خطأ في الرواية ، أو اختلاف اللهجات العربية ، أو الصنعة العروضية " [63] .

ويرى الدكتور **كمال بشر** " أن الضرورة الشعرية ليست من باب الخطأ كما يظن بعض الناس، إنها تجيء على وفاق قاعدة جزئية تختلف مع القاعدة التي سموها قاعدة عامة ، أو تجيء على وفاق مستوى لغوي معين ، وهذا كله صحيح في بابه ... وهذا يعني أن له أصلاً واقعياً في الحال أو في الماضي " [64] ، وهذا يعني أن الدكتور بشر قد قبلها بعد أن أبقاها موافقة لقاعدة خاصة بها سماها قاعدة جزئية ، ولم يطلق لها العنان لتتحرر من ضوابط لغوية معيّنة .

أما الدكتور **محمد علي الشوابكة** ، فقد أشار إلى الضرورة في معجم مصطلحات العروض والقافية ، وعدها أمراً واقعاً في اللغة ، وربط بين الشعر وسنن العرب في كلامها ، ومحاولة الشاعر التوفيق بين القاعدة والوزن والقافية بالتداخل على بنية الكلمة أو التركيب ، لأن القافية قد أخذت حدودها الثابتة في القصيدة وعلى جميع الأبيات أن تلتزمها ، يقول : " الضرورة هي التغيير في البنية أو التركيب أو الإعراب في بعض لغة الشعر ، مما ينحرف بها عن سنن العربية وقواعدها العامة ، وتعود مخالفة النظام اللغوي في الشعر إلى ضرورة الوزن " [65] .

ويوضح ضرائر القافية ودوافع ارتكابها مشيراً إلى إمكانية تجنبها ، إن كان ذلك في حشو البيت أسهل على الشاعر ، يقول : " وهي اضطرار الشاعر إلى تغيير بنية الكلمة ، بإضافة حرف أو أكثر ، وحذف حرف أو أكثر ، أو تغيير النطق ، أو استخدام المفردات الأعجمية أو النادرة ، وذلك سعياً إلى الانسجام في القافية ، وقد يكون تجنب الضرورة في حشو البيت أسهل على الشاعر من تجنب ضرورات القافية " [66] .

---

[60] أنيس ، د. إبراهيم . موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 ، ط5 ، 320 .

[61] أنيس ، د0ابراهيم ، موسيقى الشعر، ينظر 320 .

[62] المرجع نفسه ، 321 .

[63] المرجع نفسه ، 321 .

[64] بشر ، د. كمال . دراسات في علم اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1973 ، 115/2 .

[65] الشوابكة ، د. محمد علي . معجم مصطلحات العروض والقافية ، 163 .

[66] المرجع نفسه ، 160 .

ويرى السيد **إبراهيم محمد** أن الفكر النحوي انحرف عن الاتجاه الذي كان يمكن أن يُفضي إليه فكر سيبويه من الاعتداد بالعلاقة بين مستويين من مستويات التعبير ، ومضى في مقولة فكرية مختلفة ، أساسها فكرة الأصول التي يرجع إليها الشاعر عند الضرورة " [67] .

وقد عدّها مظهراً من مظاهر اقتدار الشاعر ونشاطه الإبداعي " الضرورة الشعرية من حيث هي مظهر من مظاهر الخروج على الاستعمال العادي للغة ، ليست إلا تعبيراً عن الإرادة الشعرية الخلاقة التي تتجلى بها الخصائص الفردية للأديب ... ولا ارتباط بين الوزن والضرورة ، والضرورة مرادفة للشعر نفسه ، وعلى هذا فهي ليست دليلاً على قصور لغة الشاعر وعجزه عن استيفاء حقوق العمل الشعري ، بل هي عكس ذلك ، من مظاهر اقتدار الشاعر ونشاطه الخلاق " [68] .

أما الدكتور **عبد الحكيم راضي** ، فلم يقبل الضرورة فقط ، بل ربط بينها وبين الأساليب البلاغية ، فقد تحدث عنها في فصل سماه لغة الأدب ولغة الضرورة ، وفي مواضع مختلفة من كتابه ، وأشار في المقدمة إلى اختلاف لغة الشعر بعبارة الانحراف عن النمط العادي في النحو والتصريف [69] ، ويدعو إلى الربط بين الأساليب البلاغية والضرائر بعد تحديد عناصر التلاقي والأسس المشتركة لكل منهما ، يقول : " نهدف إلى الكشف عن رابطة القرابة إنْ لم يكن التوحد بين الظواهر والأساليب التي وُصِفت بأنها رخص أو ضرورات، يضطر الشاعر إلى الأخذ بها للتغلب على عقبات معينة ، وبين أساليب القول البديع التي نرى أنها لا تبعد كثيراً ، بل لا تختلف من حيث الأسس التي تقوم عليها عن أساليب الضرورة ، وهو ما نهدف من ورائه إلى تأكيد صفة الانحراف في لغة الأدب ، كما صوّرها البلاغيون والنقاد عن القواعد المثالية التي ارتضاها النحاة " [70] .

ويشير إلى التلاقي بين المفهوم العام لفكرة الرخصة أو الضرورة ، والمفهوم العام للمجاز ، يقول : " فإذا جئنا إلى المبدأ العام أو الأصول التي يقوم عليها تقسيم الظواهر الخاصة بكل من المجاز والضرورة ، وجدنا قيام هذه الأسس أو دورانها في كل من المجالين حول محاور ثلاثة هي : زيادة العبارة ، أو نقصها ، أو التغيير والتبديل فيها سواء على مستوى التركيب أو الدلالة " [71] .

ويشير في موضع آخر إلى الصفات المشتركة بين المجاز والضرورة ، فيقول : " إن كلاً من الظاهرتين – المجاز والضرورة – يقوم على نوع من الاستخدام غير النمطي للغة ، الاستخدام الخارج بدرجة ما على القواعد المعتمدة ، ومن هنا كان الجمع بينهما في عدد من الصفات المشتركة ، فكل من الظاهرتين لا يقاس عليها ، وكلتاهما يتوقف الاستعمال فيها على السماع " [72] .

أما الدكتور **رمضان عبد التواب** فقد أفرد في كتابه (فصول في فقه اللغة) فصلاً بعنوان ضرورة الشعر والخطأ في اللغة ، حمّل فيه النحاة مسؤولية استشراء هذه الظاهرة ، بسبب قناعتهم بأنّ الشاعر لا يخطئ باللغة ، فهو يتكلمها

---

[67] محمد ، إبراهيم . الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية ، دار الأندلس للطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط3 ، 1983 م ، 8 .

[68] المرجع السابق ، 127-128 .

[69] راضي ، د. عبد الحكيم . نظرية اللغة في النقد العربي ، ينظر 295 .

[70] راضي ، د0عبد الحكيم 0 نظرية اللغة في النقد الأدبي ، 295 .

[71] المرجع نفسه ، 296 . وينظر شواهد على ذلك 297-298 .

[72] راضي ، د. عبد الحكيم . نظرية اللغة في النقد العربي ، 333 .

بالسليقة ، يقول : " إذا اضطر شاعر إلى تسكين بعض الكلمات لضرورة الوزن ، فإنه لا يعدم من النحويين منذ أيام سيبويه من يطلب له تأويلاً ، ويتكلّف له قياساً " [73] .

ويرى أن جمهور العربية حين عرّفوا الضرورة بأنها مخالفة المألوف من القواعد في الشعر ، سواء ألجأ الشاعر إلى ذلك بالوزن والقافية أم لم يلجأ ، قد بعدوا بالضرورة عن معناها اللغوي ، وهو الاضطرار ، وهذا إلغاء للتفكير المنطقي ، وينسجم مع أبي هلال العسكري وابن فارس في نظرته إلى الشعراء والشعر ، يقول : " الضرورة الشعرية في نظرنا ليست في كثير من الأحيان إلا أخطاء غير شعورية في اللغة ، وخروجاً على النظام المألوف في العربية ، شعرها ونثرها ، بدليل ورود الآلاف من الأمثلة الصحيحة في الشعر والنثر على السواء ، غاية ما هناك أن الشاعر يكون منهمكاً ، مشغولاً بموسيقى شعره ، وأنغام قوافيه ، فيقع في هذه الأخطاء من غير شعور منه " [74] . وهو لا يقبل الفكرة التي تشيع في بعض الأوساط الأدبية وهي أن " الضرورة الشعرية رخصة للشاعر يرتكبها متى أراد ، ويباح له عن عمد مخالفة المألوف من القواعد " [75] ، ويدعو إلى استقراء الأشعار المختلفة لإحصاء الظواهر التي يختص الشعر فيها بنماذج معينة تميزه عن لغة النثر ، ثم بناء قواعد للغة الشعر " [76] .

أما الموقف الرافض للضرورة ، فتمثله الشاعرة نازك الملائكة ، فهي رغم اعترافها بالدور المهم للشعراء في التجديد المبدع للغة ، لا تقبل العبث بمقاييسها ، ولا تسمح باللعب بقواعد النحو لمجرد تحقيق قافية ، أو تفعيلة ، تقول : " إنه لسخف عظيم أن يمنح الشاعر نفسه أية حرية لغوية لا يملكها الناثر ، فمن قال إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أي شيء في غير الإطار اللغوي لعصره ؟ ، إن كل خروج على القواعد المعتبرة يُنقص من تعبيرية الشعر ، ويبعده عن روحية العصر ، ولسنا على كلّ نفهم لماذا يريد الناقد أن يكون الشاعر الحديث طفل اللغة المدلل ، فيُخطئ ويرتكب المحذورات دون أن يحاسب " [77] ، وهذا الموقف ينسجم مع موقف أبي هلال العسكري الرافض لإعطاء الحرية للشاعر كيفما شاء للعبث باللغة ، فأمير الكلام عليه أن ينظم شعره وفق القواعد محققاً الشعرية واللغة والقواعد معاً ، ويشار إلى غير ذلك بالخطأ .

خاتمة البحث:

عرضت مفهوم الضرورة ، وبيّنت هدف البحث ، والمنهجية المتبعة فيه ، وأشرت إلى مسألة التقعيد اللغوي، التي اعتمدت استقراءً ناقصاً ، فواجه النحاة بعد ذلك تراكيب لم تكن متفقة مع القواعد ، التمسوا لها العذر للإبقائها ضمن دائرة القبول 0 وأشرت إلى بدايات النقد عند العرب ، التي لم تكن مبنية على أسس أو معايير محددة ، بل كانت انطباعية ذاتية إلى عصر قدامة بن جعفر الذي تأثر بالفلسفة ، وبذلك كانت أحكامه النقدية مبنية على أسس حددها في اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وحدد صفات الجودة والرداءة لكل منها ، فظهرت في أحكامه مصطلحات (الجيد والرديء) ، وأشار إلى المخلاّت في الجودة التي تسبب العيوب ، التي تتضمن بعض الضرائر النحوية .واخترنا مواقف

---

[73] **عبد التواب ، د. رمضان . فصول في فقه اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1987 ، 167 .**

[74] **عبد التواب ، رمضان . فصول في فقه اللغة ، 163 .**

[75] **المرجع نفسه ، 192 .**

[76] **المرجع نفسه ، 165 .**

[77] **الملائكة ، نازك . قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط2 ، 1965 ، 296-297 .**

بعض النقاد حتى القرن الرابع الهجري ومع الدارسين في العصر الحديث ، كانت لنا وقفة ، درسنا من خلالها مواقف غير متفقة تجاهها ، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية :

– تشابه النقّاد والنحاة في اعتماد قوانين طبقوها على الشعر ، وصنّفوه بموجبها ، فالنحاة اعتمدوا القواعد النحوية ، وأطلقوا تصنيف الضرائر على ما خالفها ، والنقاد اعتمدوا صفات في اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وأطلقوا حكم العيوب على ما أخلّ بها .

ظهر أثر الفلسفة في نقد الشعر ، فأصبح قائما على أسس منطقية بعد أن كان ذاتياً 0

اتفق بعض عيوب الشعر مع بعض الضرائر في الشواهد المدروسة ، وهذا يعني أنّ حكم /الضرائر/ عند النحوي في موضع ما يوافق حكم/ العيب/ عند الناقد .

لم يكن موقف النحاة واحداً من الضرائر، وكذلك النقاد 0

لم تكن الضرائر بمستوى واحد عند النحوي ، وكذلك هي عند الناقد فمنها الحسن ومنها القبيح 0

اهتم النقاد بالجملة في الشعر العربي ، فأشاروا إلى الائتلاف بين اللفظ والمعنى 0

اختلف الدارسون في العصر الحديث في مواقفهم من الضرائر الشعرية ، فمنهم من قبلها ومنهم من رفضها 0

إنّ دعوة المتشددين الرافضين للضرائر إلى تنقية الشعر وعزل الأبيات التي ارتكبت فيها ضرائر ، لم تلق أذناً صاغية ، فبقيت الأشعار في دواوينها وفي عقول المهتمين ، فما قبلته الجماعة اللغوية بقي مقبولاً وما رفضته بقي مرفوضاً من غير الإصغاء إلى النقاد0

المصادر والمراجع:

1 إبراهيم ، طه أحمد . *تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري* .

2 أنيس ، د. إبراهيم . *من أسرار البلاغة* ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط3 .

–*موسيقى الشعر* ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 ، ط5 .

3 بشر ، د. كمال . *دراسات في علم اللغة* ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1973 .

4 الجرجاني ، علي بن محمد بن علي . *كتاب التعريفات* ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث .

5 ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة . *نقد الشعر* ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان .

6 الجمحي، محمد بن سلام . *طبقات فحول الشعراء* ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، 1980 م .

7 ابن جني ، أبو الفتح عثمان . *الخصائص* ، تحقيق محمد علي النجار ، ط 2 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

8 راضي ، د. عبد الحكيم . *نظرية اللغة في النقد العربي* ، مكتبة الخانجي ، مصر .

9 الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله . *البرهان في علوم القرآن* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

10 سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . *الكتاب* ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 .

11 -الشوابكة ، محمد علي ؛ أبو سويلم ، أنور . *معجم مصطلحات العروض والقافية* ، دار البشير ، 1991 .
12 -ابن الصمّة ، دريد 0 *ديوان شعر* ، تحقيق د0 عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 0
13 -ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد . *عيار الشعر* ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1995 .
14 -الطرابلسي ، د. أمجد . *نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري* ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 .
15 – عبد التواب ، د. رمضان . *فصول في فقه اللغة* ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1987 .
16. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . *كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر* ، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986 م .
17. عصفور ، د. جابر . *مفهوم الشعر* ، دراسة في التراث النقدي ، ط2 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان .
18. ابن عصفور ، علي بن مؤمن بن محمد بن علي . *المقرّب* ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، ط1 ، مطبعة المدني ، بغداد ، 1972 م .
19. ابن فارس ، أحمد 0 *الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها*، تحقيق د0عمر فاروق الطباع ، ط1، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1993 0
20. الفحل ، علقمة بن عبدة 0 *ديوان شعر* ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ، ودريّة الخطيب ، مراجعة د0فخر الدين قباوة ، ط1 ، دار الكتاب العربي، حلب ، 1969 0
21. الفرزدق *0 ديوان شعر* ، قدّم له علي فاعور ، ط1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، 1987 0
22. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب . *القاموس المحيط* ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 م .
23. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. *الشعر والشعراء* ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، دار الحديث ، القاهرة، 1996 .
24. الكندي ، امرؤ القيس 0*ديوان شعر* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط5 ، دار المعارف ، د0ت
25. لبيد 0 *ديوان شعر* ، اعتنى به حمدو طماس ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2007 0
26. اللغوي ، أبو الطيب . *مراتب النحويين* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة ، 1974 .
27. محمد، إبراهيم. *الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية* ، دار الأندلس للطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط3 ، 1983 م .
28. مطلوب، أحمد . *معجم مصطلحات النقد العربي القديم* ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2001 .
29. الملائكة ، نازك . *قضايا الشعر المعاصر* ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط2 ، 1965 .
30. ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل . *لسان العرب* ، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، ط3 .
31. ميمون ، الأعشى الكبير . *ديوان شعر* ، شرح الدكتور محمد محمد حسين ، ط7 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983
32. ابن الورد ، عروة 0 *ديوان شعر*، شرح ابن السكيت، قدّم له راجي أسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005 0